وتعالى عما يشركون نزه الله تعالى نفسه عن الشركاء والاضداد والانداد وتعالى ان يكون له شريك في السموات والارض
قوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا يعني فتفرقوا الى مومن وكافر وكانوا جميعا على الدين الحق وهو
دين الاسلام ويدل على ذلك ان ادم عليه السلام وذريته كانوا على دين الاسلام الى ان قتل قابيل هابيل ثم
اختلفوا فبعث الله نوحا وقيل انهم كانوا على دين الاسلام وقت خروج نوح ومن معه من السفينة ثم اختلفوا بعد
ذلك وكانوا على دين الاسلام على عهد ابرهيم الخليل عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي فعلى هذا القول يكون المراد
من الناس في قوله وما كان الناس الا امة واحدة يعني في الكفر وهذا قول منقول عن جماعة من المفسرين ويدل
عليه قوله تعالى في سورة البقرة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وتقريره انه لا مطمع ان يصير الناس على
دين واحد فانهم كانوا ولا على الكفر وانما اسلم بعضهم ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان الناس امة
واحدة وليس في الاية ما يدل على اي دين كانوا من ايمان وكفر فهو موقوف على دليل من خارج وقيل معناه كانوا اول
الخلق على الفطرة السليمة الصحيحة ثم اختلفوا في الاديان والى اشار بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على
الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه والمراد بالفطرة في الحديث فطرة الاسلام قوله تعالى ولولا كلمة
سبقت من ربك يعني ان الله تعالى جعل لكل امة اجلا وقضى في سابق الاجل قال الكلبي هي امهال هذه الامة وانه لا يهلكهم
بالعذاب لقضي بينهم يعني بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين لكان ذلك فصلا بينهم فيما فيه يختلفون
وقال الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني مضت في حكمة الله انه لا يقضي عليهم فيما اختلفوا فيه بالثواب
والعقاب دون يوم القيامة لقضي بينهم في الدنيا فادخل المومنين الجنة بايمانهم وادخل الكافرين النار بكفرهم
ولكن سبق من الله الاجل فجعل موعدهم يوم القيامة وقيل سبق من الله ان لا ياخذ احدا الا بعد اقامة الحجة عليه
الكلمة التي سبقت من الله هي قوله ان رحمتي سبقت غضبي ولولا رحمته لعجل لهم العقوبة في الدنيا ولكن اخرهم
برحمته الى يوم القيامة ثم يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يعني في الدنيا ويقولون يعني كفار مكة لولا انزل
عليه اية من ربه يعني لولا انزل على محمد ما اقترحه عليه من الايات فقل اي فقل لهم يا محمد انما الغيب لله يعني
ان الذي سالتموني هو من الغيب وانما الغيب لله لا يعلم احد ذلك الا هو والمعنى لا يعلم احد متى نزول الاية الا
هو فانتظروا يعني نزولها اني معكم من المنتظرين وقيل معناه فانتظروا قضا الله بيننا باظهار الحق على الباطل اني معكم
من المنتظرين قوله عز وجل واذا اذقنا الناس رحمة يعني رخا ونعمة من بعد ضرا مستهم يعني من بعد شدة وبلا وضيق
في العيش اصابهم والمراد بالناس هنا كفار اهل مكة وذلك ان الله حبس عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع
والقحط ثم ان الله تعالى رحمهم وانزل عليهم المطر الكثير حتى اخصبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك الضر فلم يتعظوا
بذلك بل رجعوا الى الفساد والكفر والمكر وهو قوله تعالى اذا لهم مكر في اياتنا قال مجاهد اي تكذيب واستهزا وقال
مقاتل بن حيان لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وكذا ويدل على صحة هذا القول ما روي عن
زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سما كانت من
الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادي
مومن بي وكافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مومن بالكوكب اخرجاه في الصحيحين
قوله على اثر سما اي مطر كان قد وقع بالليل وسمي المطر سما لانه ينزل من السما والانوا عند العرب هي منازل القمر اذا طلع
نجم سقط نظيره وكانوا يعتقدون في الجاهلية انه لا بد عند ذلك من وجود مطر وريح كما يزعم المنجمون فمنهم من العرب
من يجعل ذلك التاثير للطالع لانه ناء اي ظهر وطلع ومنهم من ينسبه للغارب فنفى النبي صلى الله عليه وسلم صحة
ذلك ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان النجم فاعل ذلك التاثير اما من جعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة واما

من

من اسند ذلك للعادة التي يجوز انخراقها فقد كرهه جماعة وحرمه قوم ومنهم من تاول الكفر بكفر نعمة الله والله
اعلم وسمي تكذيبهم بايات الله مكرا لان المكر عبارة عن صرف الشي عن وجهه الظاهر بنوع من الحيلة وكان كفار مكة
يحتالون في دفع ايات الله بكل ما يقدرون عليه من المفاسد قل الله اسرع مكرا اي قل لهم يا محمد الله اعجل عقوبة
واشد اخذا واقدر على الجزا وان عذابه في اهلاككم اسرع اليكم مما ياتي منكم في دفع الحق ولما قابلوا النعمة بالمكر قابل مكرهم
بمكر الله اشد منه وهو امهالهم الى يوم القيامة ان رسلنا يكتبون ما تمكرون يعني الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون
ويحفظون اعمالهم الخبيثة السيئة الى يوم القيامة حتى تفتضحوا بها وتجازون على مكركم قوله تعالى هو الذي
يسيركم في البر والبحر يعني والله الذي يسيركم ويحملكم في البر على ظهور الدواب وفي البحر على الفلك وقيل معناه
الله الهادي لكم في السير في البر والبحر طلبا في المعاش وهو المهيء لكم اسباب التسيير في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك
يعني في السفن ولفظ الفلك يطلق على الواحد والجمع وتقديرهما مختلفان فان اريد بها الواحد كان كقفل
وان اريد بها الجمع كان كحمر والمراد بها هنا الجمع لقوله تعالى وجرين بهم بريح طيبة يعني وجرت السفن
بركابها فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت قال صاحب الكشاف
المقصود منه المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم مزيد الانكار والتقبيح وقال غيره ان
مخاطبة الله لعباده هو على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فهو بمنزلة الخبر عن الغائب وقيل كل من اقام
الغائب مقام المخاطب حسن منه ان يرده الى الغائب وقيل ان الالتفات في الكلام من الغيبة الى الحضور
وبالعكس فهو من فصيح كلام العرب وفرحوا بها يعني وجرت السفن بريح طيبة ساكنة وفرحوا بها يعني وفرحوا
ركبان تلك الفلك بتلك الريح الطيبة لان الانسان اذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة
للمقصود وحصل له النفع التام والمسرة العظيمة بذلك جاءتها ريح عاصف يعني قيل ان الضمير في جاءتها
فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة ريح عاصف شديدة فاقلبتها وقيل الضمير في جاءتها يرجع الى الفلك
يعني جاءت الفلك ريح عاصف يقال ريح عاصف وعاصفة ومعنى عصفت الريح اشتدت واصل العصف
السرعة وانما قال عاصف لانه يراد به عصوف او لاجل ان الريح قد تذكر وجاءهم الموج من كل مكان يعني وجا
ركاب السفينة الموج وهو ما ارتفع وعلا من غوارب الما في البحر وقيل هو شدة حركة الما في البحر واختلاطه وظنوا انهم
احيط بهم يعني قيل يعني فظنوا ان الهلاك قد احاط بهم واحدق وقيل المراد من الظن اليقين
اي وايقنوا انه الهلاك وقيل بل المراد منه المقاربة من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه دعوا الله
مخلصين له الدين اي يعني انهم اخلصوا في الدعا لله عز وجل ولم يدعوا احدا سواه من الهتهم وقيل في معنى
هذا الاخلاص العلم الحقيقي لا اخلاص ايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة انه لا ينجيهم من جميع الشدايد والبلايا
الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا في شدة وضر وبلا اخلصوا لله الدعا لئن انجيتنا اي قائلين لئن انجيتنا
من هذه يعني هذه الشدايد التي نحن فيها وهي الريح العاصفة والامواج الشديدة لنكونن من الشاكرين يعني
من الشاكرين لك على نعمك علينا باخلاصنا مما نحن فيه من الشدة فلما انجاهم يعني فلما انجا الله هولا الذين ظنوا
انهم احيط بهم من الشدة التي كانوا فيها اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يعني انهم اخلفوا الله ما وعدوه وبغوا في الارض
فتجاوزوا فيها الحد الى غير ما امر الله به من الكفر والعمل بالمعاصي على ظهرها واهل البغي مجاوزة الحد قال
صاحب المفردات والبغي على ضربين احدهما محمود وهو مجاوزة العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع والثاني
مذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل او الى الشبهة قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي
لا يكون بحق قلت بلى قد يكون بحق وهو استيلا المسلمين على الكفرة وهدم دورهم واحراق زرعهم وقطع

Copyright © King Saud University